النقد

حول ديوان الينبوع

للدكتور احمد زكى أبى شادى

إنى آسف أشد الأسف اذا كان ردى السابق على الأديب المرتينى يصح أن يوصف بالحدة كما وصفه حضرته ، وما كنت أحسبه الا مثالا للهدوء المقترن بالصراحة . وقد كرر ناقدى الاديب قوله عن الأدباء المصريين : « واذا أنا أعود فأردد مرة أخرى ، ما عرفت الدكتور واضرابه من اخواننا المصريين الا أباة على النقد . يثيرون من أجله المعارك ويتسارعون بسببه الى الخصام والنزاع » . وقد أغضانى الشاعر الناقد طلبة محمد عبده برده فى عدد مايو من مجلة (أبولو) عن الرد المسهب على الأديب المرتينى ، وحسبى هنا أن ألاحظ فى ايجاز نقطتين : الأولى أن كل حجة صاحبنا فى مؤاخذتى تقدمى إلى الرد عليه فى أدب واعتدال ، كأنما الواجب على وعلى أمثالى الخضوع لديكتاتوريته النقدية ، فاذا ما ناقشناها فى هدوء مناقشة أدبية وصمنا بما وصمنا به ، والثانية شهادة مجلة (الضياء) الهندية ، وقد وافتنى يوم صدور عدد (الرسالة) المنشورة به مقالة ناقدى ، ، فقد ذكرت (الضياء) — وهى من أرقى المجلات الأدبية فى العالم العربى — فى كلامها على «الينبوع» وصاحبه وتشجيعه للنقد الأدبى أن تشجيعى هذا هو « جرأة نادرة » فى هذا الزمن .

إذن ليس هناك يا صاحبى أى حدة ولا تأب على النقد ، فأعداد (الرسالة) بين أيدى القراء ، كما أن (الينبوع) وغيره من دواوينى ومؤلفاتى بين أيديهم ، ويمكنهم أن يدرسوا ويقارنوا لأنفسهم بين كتابتى وكتابتك . وفى الحق لم يُعرف عنى الا العداء للديكتاتورية الأدبية ، سواء أجاءت من ناحية المؤلفين أم من ناحية النقاد ، وقد شجعت وسأشجع دائماً النقاش الأدبى البرىء لأنه خادم وأى خادم للأدب ، ومتى تحقق الاحترام المتبادل بين المؤلفين والنقاد ، فلن يؤدى النقاش الأدبى بينهم إلا الى الخير الأدبى المحض . ولولا هذا الايمان فى نفسى بالنقد وفوائده لصدفت عن التعليق على ما يكتب عنى ، فجل شعرى لنفسى أولا لا للجمهور الذى تتحدث أنت عنه وتود أن تراعيه ، وأنا لا أتطلع الى مدح أو تصفيق لقاء جهودى ، وقد أصبحت لا أتطلع حتى الى محض الانصاف من معظم معاصرى

ومن كان لا يعنيه مدح ولا قلى يعف عن المدح العريض ويستغنى

وقد تأملت الملاحظات الفنية الجديدة التى جاء بها ناقدى الفاضل فى مقاله الثانى فأسفت لأنه لم يذكرها فى مقاله الاول ، ولو كان قد فعل ذلك لما كنت رددت عليه : فقد كان فى مقاله الأول يلقى الأحكام كأنه القاضى الأعلى الذى لا مرد لحكمه ، وأما فى مقاله الثانى فهو ينزع الى التفسير النفسانى ويتحدث عن الذوق الفنى وما الى ذلك . . وهو فى موقفه الجديد أمنع من أن يساءل أو يناقش ، اللهم الا فى تذكيرى إياه بأن قولى :

كن أنت نفسى واقترن بعواطفى تجد العيب لدى غير معيب

لا يعنى شيئاً مما ذكره ، وإنما يعنى أن الناقد الذى لا يستطيع أن يتمثل نفسية الشاعر وظروفه والعوامل المؤثرة عليه وقت نظمه هو أبعد الناس عن الانصاف ، لأنه سيعيب مالا يعاب لو أنه تمثل شخصية الشاعر فى المناسبة التى نظم فيها ذلك الشعر المنقود . وليس من الحكمة ولا من الانصاف فى شىء أن يتقدم الناقد الى أثر شعرى وهو نافر من صاحبه كيفما كانت أسباب ذلك النفور .

إن التحدث عن اللغة الفنية لا أول له ولا نهاية ، وقد نقد لغتى من نقدها ممن عرفوا بالتضلع فى اللغة والتمكن من الشعر ، وفى مقدمتهم السيد مصطفى جواد ، ولهؤلاء السادة مالهم من الذوق الشعرى الناضج أليس هؤلاء إذن أولى من الأديب المرتينى

بالحكم فى هذا المجال ؟ وما معنى انتقاص معارفهم ومناحيهم ؟ أليسوا أجدر منه ومنى بتحديد ما يسميه باللغة الصحفية ؟ ليس لى ياصاحبى أن أزكى نفسى ، وإن كان لى أن أدافع عن مذهبى أحياناً ، وقد كتب فى تقدير روحى الفنية وتعابيرى الشعرية غير واحد من الأدباء المشهورين ، ومنهم من ناقشك ، فلك أن تناقشهم إذا شئت ، وأما أنا فلا أجد فيما كتبت من جديد سوى إبهام جديد ، إلا فى موضع أو موضعين ، وليس لى من رد على مثل هذا الانتقاص المبهم غير انتاجى الجديد . . .

لقد أعجبك قول امرئ القيس

مكر ، مفر ، مقبلٌ ، مدبرٌ ، معاً

كجلمودِ صخرٍ حطه السيلُ منْ علِ

نظراً لما فيه من موسيقى وحركة وخيال ، ولا أعرف أن كل شعر امرئ القيس من هذا القبيل ، أو أن شعرى تجرد من مثل ذلك ، كما أنى لا أعرف أن مثل هذه الصفات التى شاقتك مرغوب فيها فى جميع ضروب الشعر ، ومنه ما قد تؤثر فيه موسيقى المعانى والهدوء والتأمل العميق قبل رنين الألفاظ والحركة والخيال الوثاب .

ولك أن تنتزع بيتاً أو بيتين من قصيدة ، وأن تقف حائراً مستنكراً ، ولكنى (وأنا المؤمن بوحدة القصيد والحريص على ذلك) لا أطلب شططاً اذا سألت قرائى أن يقرأوا تلك القصائد كاملةً ليتبينوا مواقع الأبيات بعضها من بعض وما تحمله من المعانى الظاهرة والضمنية اذا ما انتظمتها وحدة القصيد ، وهل لها حينئذ قيمة مادية وروحية أم ليست لها تلك القيمة .

وقد تفضل الأديب المرتيني ببيان طويل عن نظراته الأدبية العامة وأسلوبه فى النظم ونحو ذلك ، أشكره عليه لما حواه من الطرافة ودواعى التسلية التى يتحدث عنها . ولا أود أن أشغل فراغ (الرسالة) بالتعليق عليه فذلك أمر يعنيه ، وأود بهذه السطور أن أختم تعليقاتى على كتابته شاكراً (للرسالة) منبرها الحر وغيرتها ، وشاكراً لناقدى الفاضل تحمسه للفن وللغة العربية السامية .

احمد زكى ابو شادى

أقدم مكتبة فى الشرق العربى

﴿ مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ﴾

(تأسست سنة ١٨٥٦)

بها أكبر مجموعة من المؤلفات الدينية والأدبية والعلمية

لها نشرات خاصة بالمطبوعات العصرية ، وترسل فهارسها مجاناً لمن يطلبها

العنوان :

مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده

صندوق بوستة الغورية رقم ٧١ — بمصر

الادارة :

شارع التبليطة نمرة ١٢ — بجوار الأزهر الشريف — تليفون ٥١٣٢٢

أحدث المطبوعات

جمهرة خطب العرب

فى عصور العربية الزاهرة

تأليف

احمد زكى صفوت

مدرس اللغة العربية بدار العلوم

الجزء الأول : يشمل خطب العصر الجاهلى والخلفاء الراشدين

الجزء الثانى : يشمل خطب العصر الأموى

الجزء الثالث : « « « العباسى وخطب الأندلسيين والمغاربة ، وخطب النكاح ، وخطب من أرتج عليهم ، ونوادر طريفة لبعض الخطباء الخ ...